

مراجعات في الكتب - غالباً عنابسة

1. كتاب الدكتور ياسين كتاني، ستة روائيين حديثين

(إصدار: مجمع القاسي للغة العربية، كفرقرع: دار الهوى للطباعة والنشر، 2011، 198 صفحة)

يشتمل كتاب الدكتور كتاني على ستة فصول، تعكف على دراسة نصوص سردية لستة أدباء من مختلف الأقطار العربية، هم: إبراهيم نصر الله، إدوار الخراط، إبراهيم الكوني، زكريا تامر، ليلى الأطرش وسحر خليفة. وهي نصوص يجمع بينها انصواتها داخل تيار الحداثة، رغم اختلاف تجارب الأدباء ومفاهيمهم الجمالية وأزمنة صدور مؤلفاتهم.

تميز الدراسات، كما يقول كتاني في المقدمة، "برؤية نقدية جديدة، تبحث في أدوات التشكيل الفني واستراتيجيات القصّ واستجابتها، من جهة، لمفارقات الواقع المراغع والمتبس ومتغيراته، في ظلّ الظروف الاجتماعية والسياسية التي وجد الروائيون العرب أنفسهم فيها، واستجابتها، من جهة ثانية، للمتغيرات المستمرة في مفهوم الأدب، ووظائفه وجمالياته، وفي قواعد إحالة النصّ".

يعالج مدخل الكتاب مفهوم / مفاهيم الحداثة في الحقل العربي، وما أصاب المفاهيم الغربية للحداثة من تبدل حين هاجرت من موطنها الأصلي إلى الشرق، ويبحث في تصوّر المفكّرين والأدباء العرب لحداثتهم، ويخلص المؤلف من خلال استعراض أهمّ وجهات النظر، "أنّ ما حدث في العالم العربي من تنوير وتحديث، في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لا يعدو أن يكون نخبويّاً ولا يمسّ جذور الأبنية العميقية الأساسية لمجتمعاتنا العربية"، ويعلّل من ثمّ أسباب فشل مشروع الحداثة العربية؛ بأنّ أبرز ما فيه يقتصر على مظاهر الحداثة التقنية القابلة للتسيويق. ولكنّ الأمر يختلف تماماً فيما يتعلق بالإبداع الأدبي، فجميع المثقفين يراهنون على قوّة الإبداع في التجاوز والتخطي، فالإبداع الحداثي العربي يتمحور في "التساؤل حول الممكن، والاحتجاج حول السائد"، فيسهم الإبداع في تغيير الواقع عن طريق تقويضه وإعادة صياغته على نحو أجمل وأعدل وأنظف. وبالتالي، فإنّ هذه الرؤيا الإبداعية، تعتمد الفانتازيا والحلم والأسطورة وسيلة للتغيير،

وستخدم نفس تقنيات النصوص السردية الغربية في المبني والأساليب رغم التباين العميق بين الحادثتين.

يتناول الفصل الأول "الكتابة تعادل البقاء: التشكيل الفني في رواية إبراهيم نصر الله" (أعراس آمنة، 2004)، للأديب الفلسطيني-الأردني، يشير فيه د. ياسين كتاني إلى التشكيل الحدائي للرواية الذي يتمثل في تهشيم التتابع السردي بين السابق واللاحق، مما يستوجب من القارئ القيام بتنظيم الأحداث من جديد، كما يتمثل بالفارقة التي يتم تفعيلها في النص كعنصر أساسي في بناء النص وصياغة الدلالة.

أما الفصل الثاني الذي ورد تحت عنوان: انها الحدود ولعبة الإيهام والتجاوز في رواية "تراها زعفران، 1986" للروائي والناقد المصري إدوار الخراط، فيتناول إشكالية تصنيف هذه النصوص السردية، ويتناول من زوايا تحليلية مختلفة تقنيات السرد الروائي، وقد اكتسبت لدى الخراط في هذه الرواية فرادة ورؤيا حداثية جديدة ومميزة. يتناول الدكتور كتاني في الفصل الثالث موضوع: "التاريخ والفضاء التخييلي في رواية "نداء ما كان بعيداً، 2006" للروائي الليبي إبراهيم الكوني، وهي رواية استقى الكاتب فيها مادته من فترة حكم أحمد الأكابر القرامي في القرن الثامن عشر. وإذا كان لجوء الكوني إلى التاريخ في هذه الرواية استجابة لحسن وكبراء وطني، فإن الدكتور كتاني يرى فيه محفزاً لارتياح عوالم تخيلية أو افتراضية تصدر عن مخيّلة الفنان فتحول التاريخي إلى تراث وجданى.

يتناول الدكتور كتاني في الفصل الرابع، استجابة الشكل للمضمون في القصص القصيرة للأديب السوري ذكريا تامر، ويبين الأجزاء والمضامين في مجموعاته القصصية القصيرة، والاستجابة المتبادلة بين الشكل والمضمون فيها، حيث أملت المضامين توظيف التقنيات التي تنسجم مع تجربة الكاتب ومشاعر السأم والغثيان التي يورثها الواقع الاجتماعي والسياسي.

الفصل الخامس من الكتاب يعالج تجليات الحداثة في رواية للكاتبة الفلسطينية الأردنية ليلى الطرش بعنوان: "الرواسي تصير هباءً: المفارقة والتضاد في صميم "مرافق الوهم

"2005" ، وهي رواية تعالج، كما يشير الباحث، مناجي ثقافية ذكرية في المجتمع العربي وكل المرايا التي اعتبرت آمنة ليست كذلك في الحقيقة. الفصل الختامي لكتاب الدكتور كتاني هو الفصل السادس، ويتناول لغة القصة عند سحر خليفة بعنوان: "الترانسسيندنتالي يتسلق على أكتاف الواقع: تعدد اللغات وتناوّلها في رواية سحر خليفة" ويبحث الفصل في تعدد اللغات على مستوياتها المختلفة لدى هذه الروائية الفلسطينية، فمن اللغة المعيارية إلى اللغة المراوحة للعامية ومن ثم ترقي اللغة لتغدو شاعرية، منسجمة في تبدلها مع إملاءات الواقع أو سموها عنه هروباً من سطوطه.

لا نغفل أن نشير في نهاية مراجعتنا للكتاب أننا أمام دراسة جديدة مميزة، جادة وحاذقة في حقل أدبي مهم في أدبنا العربي الحديث لستة روائيين حداثيين، بل رائدة في مجال الدراسات الأسلوبية الحديثة للرواية العربية.